الخليج

الرأي, مقالات

18 يناير 2020 03:25 صباحا

إشكالية «الشخصنة» في السياسة الدولية

الكاتب

الحسين الزاوي

الحسين الزاوي

إن ظاهرة الشخصنة في السياسة الدولية ليست جديدة، فقد ارتبطت الممارسات السياسية للإمبراطوريات الكبرى عبر التاريخ، بشخصيات مؤثرة كان لها دور حاسم في توجيه مصير الحضارات والأمم، لكن الحقبة المعاصرة في العلاقات الدولية التي جرى تدشينها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والقائمة على الثنائية القطبية، شهدت تراجعاً ملحوظاً للشخصنة في ظل سيادة نسق من الصراع ظل يتحكم في السياسة الدولية طوال عقود من الزمن، ولم يترك هامشاً كبيراً للأفراد من أجل التأثير في مسار الأحداث. ومع ذلك، فقد بدأ المشهد السياسي في العالم يتطور مرة أخرى خلال العقدين الأخيرين، باتجاه عودة قوية للشخصنة على المستوى الدولي.

ونلاحظ بشكل واضح أن السمات الشخصية للأفراد تؤثر بشكل لافت في تطور الأحداث على جميع الصعد؛ لذلك فإن الهجوم على الدول وعلى التكتلات السياسية الإقليمية والدولية عادة ما يتم من خلال انتقاد الأشخاص، حتى وإن كان هذا الفعل بهدف المغالطة واختزال تعقيدات المشهد العام عبر «شخصنته»، من خلال إغفال جملة من العناصر الأساسية لهذا المشهد وتبسيطه كي يكون متسقاً مع المزاج العام الذي يرفض التعقيد ويستسهل إطلاق الأحكام الجاهزة.

وهناك مستويات متعددة للشخصنة تبدأ من العلاقات ما بين الأفراد، بهدف السكوت عن المشكلات الأساسية والتركيز على سلوكيات الأشخاص، و«الشخصنة» على مستوى السياسة الداخلية للدول التي يتم من خلالها تجاهل البرامج والسياسات العامة للأحزاب والتركيز على شخصيات زعمائها وعلى أخطائهم وأحياناً على حياتهم العائلية، لنصل في الأخير إلى «الشخصنة» على المستوى الدولي التي تقودنا إلى الإجراء المتمثل في العمل على التعرف إلى الدول وإلى سياساتها القومية اعتماداً على شخصياتها البارزة، وفي طليعتهم القادة والزعماء.

وتستمد «الشخصنة» أهميتها في المجال السياسي اعتماداً على الجانب الحجاجي والبلاغي الذي تمتلكه إشكالية

الشخص من الناحيتين العاطفية والأخلاقية، في سياق منطق طبيعي يسمح للناس بالتعامل مع كثير من القضايا انطلاقاً من التصورات التي يمتلكونها عن الأشخاص.

وعادة ما يتم استثمار العناصر الإيجابية للشخص من أجل التأثير في الآخرين؛ لأن العناصر السلبية أو المحبطة، يجري تجاوزها والتركيز على عناصر أخرى بعيدة عن «الشخصنة» من أجل دفع الآخرين إلى تبني مواقف معينة بشأن ملفات وقضايا ذات صلة مباشرة باهتمامات الرأي العام، وبالتالي، فإن الشخصية الكاريزمية يمكنها أن تلعب دوراً حاسماً في توجيه مثل هذه الاهتمامات، بينما تقود الشخصية الهوجاء إلى التأثير سلباً في مواقف الرأي العام، كما أن السلطة السياسية في كثير من جوانبها تجسيد لسلطة الأشخاص أو تجسيد لصيتهم أو لصورتهم التي أسهم الإعلام في الترويج لها.

ليس عجباً إذن أن يضبط العالم عقارب ساعته على تحركات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي أثر بشخصيته في مستقبل روسيا ودفع الرأي العام الدولي إلى أن يشخصن مقاربته للدور الجيوسياسي لروسيا، بالنظر إلى التأثير الحاسم الذي مارسه في التحولات التي شهدتها روسيا مع بداية الألفية الجديدة، والدور المؤثر أيضاً الذي أعطاه لمنصب رئيس الوزراء في عهد الرئيس ديمتري مدفيديف، فضلاً عن الانقلاب الشامل الذي أحدثه على مستوى كثير من الملفات الدولية. ولاغرو أيضاً أن تؤثر السلوكيات الخرقاء للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، سلباً في صورة الولايات المتحدة، وأن تدفع المراقبين إلى الحديث عن استراتيجية الفوضى التي ينتهجها عوض الحديث عن السياسة الخارجية الأمريكية.

ولا أحد يمكنه أن ينكر في السياق نفسه، أن دولاً وقوى إقليمية ودولية عديدة تغيرت صورتها مع تغير زعاماتها السياسية، حيث أصبحت تركيا مع أردوغان تثير مخاوف جيرانها نتيجة تبنيها سياسات خارجية مندفعة جلبت لها كثيراً من الرفض والانتقاد، خاصة بعد أن دخل أردوغان في مواجهات شخصية مع رؤساء دول على المستويين الإقليمي والدولي.

ولا يمكن لأي كان أن يغفل الصورة غير التقليدية التي أضفاها بوريس جونسون على منصب رئاسة الوزراء في المملكة المتحدة نتيجة تصرفاته التي لا تخترق فقط قواعد اللياقة الدبلوماسية، ولكنها تسيء أيضاً إلى تقاليد الممارسة السياسية لحزب المحافظين في بريطانيا.

hzaoui63@yahoo.fr

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©